

سُورَةُ الْسَّجْدَةِ



النَّزْوُلُ: مكية
الْفَضَائِلُ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة سورة الجمعة والمنافقين، وكان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الآمِنَةِ تَنْزِيلٌ﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ إِلَٰهَنَّ﴾ [الإنسان: ١]. (أخرج مسلم برقم ١٦٧/٦).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ﴿الآمِنَةِ تَنْزِيلٌ﴾ و﴿نَبَرَكَ﴾.

(أخرج الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٤١٢/٢) وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة ١٠٨/٢).

المقصاد:

- ١ - بيان عظمة الخالق في بدء خلق الكون ونهايته.
- ٢ - تقرير أصول الإيمان.
- ٣ - الرد على شبّهات المشركين.
- ٤ - التحذير من خطر المنافقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿السَّجَدَةُ ﴾١٠ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَبَّهُ بَلْ هُوَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهَتَّدُونَ ﴿٢﴾ أَللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْجُزُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةُ الْعَرِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ أَللَّهُ الَّذِي
أَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ مَاءٍ
مَّهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا
شَكُورُونَ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾

التفسير:

- ١ - تَقَدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن.
- ٢ - هذا القرآن العظيم نزل حَقًّا بالدرج، لا شكَّ فيه من ربِّ الخلق.
- ٣ - بل أَيُّقُولُ المشركون: اختلقَ مُحَمَّدُ القرآن؟ لقد كذبوا في زعمهم، بل هو القولُ الحقُّ، والكلامُ الصدقُ المتنَّزَلُ من ربِّك؛ لِتُنذِرَ به قومًا ما جاءهم رسولُ قبلك يا أيها الرسول؛ لكي يهتدوا إلى اتِّباعِ الحقِّ.
- ٤ - يُخَبِّرُ اللهُ تَعَالَى عن كمال قدرته بخُلُقِي السمواتِ السبعِ والأرضين السبعِ في ستةِ أيامٍ، ثُمَّ استوى على العرشِ الذي هو أعظم المخلوقات

وَسَقْفُهَا، اسْتَوَاءً يُلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ لَيْسَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْعَبَادُ - مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ اللَّهِ، وَلَا شَفِيعٌ يُشْفِعُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِإِذْنِهِ، أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ؟

٥ - يُدَبِّرُ سُبْحَانَهُ أَمْرَ الْخَلَائِقِ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ تُرْفَعُ أَعْمَالُ الْعَبَادِ فِي يَوْمٍ وَمِقْدَارُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي الصَّعُودِ وَالنَّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ أَلْفَ سَنَةٍ مَمَّا تَعُدُّونَ مِنْ أَيَّامِكُمْ.

٦ - ٩ - ذَلِكَ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ عَالَمٌ بِكُلِّ مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ، وبِمَا تَشَهَّدُهُ الْأَبْصَارُ، الْعَزِيزُ فِي مُلْكِوْتِهِ، الرَّحِيمُ بِمَخْلُوقَاتِهِ، الَّذِي أَحْسَنَ وَأَتْقَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِدَأَ خَلْقَ آدَمَ ﷺ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ ذَرِيَّتَهُ مُتَنَاسِلَةً مِنْ نَطْفَةٍ مَاءٍ ضَعِيفٍ وَهُوَ الْمُنْيِّ، ثُمَّ أَثْمَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ بَعْدَ مُضِيِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بِإِرْسَالِ الْمَلَكِ لِهِ لِيَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَجَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - السَّمْعَ لِتَسْمِعُوا بِالْأَصْوَاتِ، وَجَعَلَ الْبَصَرَ لِتُبَصِّرُوا بِالْأَشْيَاءِ، وَجَعَلَ الْقُلُوبَ لِتَعْقِلُوا بِهَا. وَمَعَ هَذِهِ النِّعَمِ فَشُكْرُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ قَلِيلٌ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٥) إِخْبَارٌ مُسْتَقْبَلٍ عن تدبير الله تعالى أمور الخلق من السَّمَاوَاتِ.

٢ - في الآية (٧) كُلُّ مُخْلُوقٍ خُلِقَ وَفَقَ مَا يَنْسَبُ حَالَهُ وَوَجَهَ الدَّلَالَةَ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمَا كَانَ إِحْسَانُ خَلْقِهِ.

٣ - تكذيب نظرية داروين وفيها: أَنَّ الْخَلْقَ نَشَأَ بِالْتَّطْوِيرِ.

٤ - اللَّهُ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُنَنْظِمُ حَيَاةَ النَّاسِ، وَيُحِاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥ - في الآية (٩) إِخْبَارٌ مُسْتَقْبَلٍ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ رَغْمَ إِتْمَامِ اللَّهِ لِخَلْقِهِ وَإِبْدَاعِهِ لَهُ، وَإِحْسَانِ خَلْقِتِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَلِيلًاً مَا يَشْكُرُ رَبَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ.

﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَّنَا فِي الْأَرْضِ أَءَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفَرُونَ ﴾١٠﴿ قُلْ يَنْوَفَنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ رَيْسُكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾١١﴿ وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَلِحًا إِنَّا مُوْقِنُونَ ﴾١٢﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَا لَيْنَا كُلُّ نَفْسٍ هُدِيَّهَا وَلَا كُنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾١٣﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْمُ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْنَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾١٤﴾

التفسير:

١٠ - يُذَكِّر الله تعالى استهزاء مُنْكري البعث: إذا هلكنا وصارت عظامنا ولحومنا مختلطة بتراب الأرض، أُبْعِثُ خلقاً جديداً؟ بل أَمْرُهم لم يقتصر على السخرية، وإنما بلغوا التكذيب ببقاء الله تعالى.

١١ - فرد الله عليهم: قل أيها الرسول: سوف يتوفّاكُم ملوك الموت الذي وُكِل بقبض أرواحكم، ثمّ مصيركم إلى ربّكم؛ ليحاكمكم على كفركم. قال الشيخ الشنقيطي: «ظاهر هذه الآية الكريمة أنَّ الذي يقبض أرواح الناس ملوك واحد معين، وقد بيَّنَ تعالى في آياتٍ أخرى أنَّ الناس تتوفّاهُم ملائكة لا ملوك واحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِبُيهِمْ كُنُّمْ قَالُوا كُنُّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَنَهَاجُرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَوْلَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضَرِّبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧].

١٢ - ثمَّ بيَّنَ سبحانه حالهم يوم القيمة حين يقفون بالقرب من النار مُنْكِسِين رؤوسهم إلى أسفل من الخزي والذلة يستغيثون: يا ربنا أبصرنَا فضائحة، وسَمِعْنَا الحقَّ وعَرَفْنَاهُ، فارْجِعْنَا إلى الحياة الدنيا لنعْمل بطاعتكم، إنَّا مُصَدِّقُونَ تصديقاً جازماً بوحديتك.

لقد بيَّنَ الله ﷺ أنهم لو أرجعوا الله تعالى إلى ما طلبوا لَكَذَّبُوا، كما في

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْئَنَا نُرْدٌ وَلَا نَكِيدَبْ بِتَائِيتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفِونَ مِنْ قَبْلٍ وَلَوْ رُدُوا لِعَادٍ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَلِأَهْمَمْ لِكَذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

١٣ - ولو شئنا هداية العباد جميماً لهديناهم ، ولكن وجَبَ وثبت ثبوتاً لا تبديل فيه : لأملأنَّ نار جهنَّم من عصاة الجنّ والإنس أجمعين .

١٤ - ثم يُوبِّخ الله تعالى المشركين المعذبين بالنار : ذوقوا عذاب النار؛ بسبب نسيانكم لقاء الله في هذا اليوم . إننا ترَكْناكم اليوم في النار تمكثون فيها أبداً بسبب جرائمكم .

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (١١) إخبار مستقبليٌ بأنَّ مَلَكَ الموت هو الموكِّل بقبض الأرواح إذا انتهت الآجال ، ولن تتأخر لحظة واحدة .

٢ - الموعظة الكبرى بزيارة ملك الموت العظمى .

٣ - بيان فطاعة ما يحلُّ بالكافرين يوم القيمة ، من قوله : ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ ، والمقدَّر جوابها : لرأيت أمراً فظيعاً؛ لأنَّ هؤلاء المجرمين المستكبرين في الدُّنيا ، الرَّافعين لرؤوسِهم ، ستكون حالهم في يوم القيمة على العكس من ذلك ؛ لقوله : ﴿فَاكْسُوا رُءُوسِهِم﴾ .

٤ - عقول الكُفَّار ضَيِّقةٌ؛ ولهذا يستبعدون البعث والحياة بعد أن كانوا تُراباً .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾١٥﴿تَسْجَافُ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمْعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾١٦﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ فُرْةٍ أَعْيُنٍ حَرَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٧﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴾١٨﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَاحُ الْمَأْوَى نَزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٩﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَبِهِمُ الْنَّارُ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾٢٠﴿وَلَنُذَاقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَذَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾٢١﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرِ بِيَاتِ رَبِّهِ فَلَمْ يَأْرِضْ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾٢٢﴾

التفسير:

١٥ - ١٦ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية **﴿تَسْجَافُ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾** نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تُدعى العتمة. (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (السنن ٣٤٦ / ٥ برقم ٣١٩٦ - كتاب التفسير، باب سورة السجدة)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذى).

إنما يؤمن بآيات القرآن العظيم الذين إذا وعظوا بها استجابوا لها، وخرروا ساجدين لله وحده، مسبحين الله بحمده، وهم لا يستكبرون عن طاعة الله، تنهى جنوبهم عن فرش النوم للتهدج في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، وممّا أعطيناهم من الرزق ينفقون في وجوه البر.

١٧ - فلا يعلم أحد من الخلق ما يتفضّل الله به عليهم من النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثواباً لما قدّموه من الأعمال الصالحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة: أقرؤوا إن شئتم **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ فُرْةٍ﴾**

أَعْيُنِكُمْ . (صحيح البخاري / ٨ / ٣٧٥ - كتاب التفسير - سورة السجدة، باب (الآية) برقم

٤٧٧٩ . صحيح مسلم / ٤ / ٢١٧٤ - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

١٨ - أَفَمَنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُصَدِّقًا بِاللَّهِ مُطِيعًا لَهُ، كَمَنْ كَانَ خَارِجًا
عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ؟ لَا يَسْتَوُنَ فِي الْحِسَابِ بِالثَّوَابِ أَوِ الْعَقَابِ .

١٩ - أَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحةَ، فَجُزِاؤُهُم
الجَنَّاتُ الْعَالِيَّةُ عِنْدَ شَجَرَةِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ذَاتِ التَّمَارِ وَالْأَوْرَاقِ، يَأْوُونَ إِلَيْهَا؛
تَكْرِيمًا دَائِمًا بِسَبِبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ .

٢٠ - وَأَمَّا الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَمَصِيرُهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ، كُلُّمَا حَاوَلُوا
أَنْ يَهْرُبُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ - إِهَانَةً وَتَوْبِيَخًا -: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كَتَمْتُمْ تُكَذِّبُونَ بِهِ، وَتَسْخَرُونَ مِنْهُ .

٢١ - وَقَسِمًا مُؤَكِّدًا سَنِدِيقُهُمُ الْعَذَابُ الأَقْرَبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنِ
الْمَصَابِ، قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَعْظَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَعَلَّهُمْ يَتَوبُونَ عَنِ الْكُفْرِ
وَالْمَعَاصِي .

٢٢ - وَلَا أَحَدٌ أَشَدُّ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ مَمَنْ وُعِظَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَالْكَوْنِ، ثُمَّ تَرَكَ
الْإِيمَانَ بِهَا. إِنَّمَا مِنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذِهِ الْآيَاتِ مُنْتَقِمُونَ بِالْعَذَابِ الْمَوْجِعِ .

الفوائد والاستنباطات:

١ - من صفات المؤمنين إذا وعظوا بآيات القرآن، أو تليث عليهم
سجدوا لربهم خاشعين مطيعين .

٢ - على المؤمن أن يخضع لله، ولا يكون من المستكبرين .

٣ - فضيلة قيام الليل؛ لأنَّ الله تعالى ذكره في سياق المدح ﴿تَتَجَافَ
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ .

٤ - المؤمن خير من الفاسق، ولو أنَّ الفاسق أعظمُ جاهًا في الدنيا عند
الخلق .

٥ - الإيمان لا يتم إلا بالعمل الصالح؛ لقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ إِمْنَأُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَأْوَى﴾ فلا يكفي مجرد العقيدة، بل لا بد من عمل صالح .

٦ - أهل النار جمع لهم بين العذاب الجسمي والعذاب النفسي بالتوبیخ .

- ٧ - الله عادل في انتقامه من الكُفَّار؛ لأنَّه يعاقبهم على ذنوبهم، ويُوقع بهم نتائج جرائمهم.
- ٨ - الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها إجرام؛ لقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَلَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لَّقَابِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِ إِسْرَائِيلَ ﴾٢٣﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِإِيمَانِنَا يُوقِنُونَ ﴾٢٤﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾٢٥﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾٢٦﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِنَّا نَسُوْقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَعْمَهُمْ وَأَنْفَسُهُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ﴾٢٧﴿ وَيَقُولُونَ مَتَّ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾٢٨﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الْأَذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ ﴾٢٩﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُّنْتَظَرُونَ ﴾٣٠﴾

التفسير:

٢٣ - ٢٤ - وقُسماً لقد أعطينا موسى ﷺ التوراة، فلا تكن - أيها الرسول - في شكٍّ من لقاء موسى ﷺ ليلة العروج إلى السماء، وجعلنا موسى ﷺ بالتوراة هادياً لذرية يعقوب ﷺ إلى اتباع الحق، وجعلنا منهم قادة وقدوة يُقتدى بهم في الخير، ويُدعون الناس إلى عبادة الله وحده، ونالوا هذا المقام حين صبروا على الطاعة والابلاء، وكانوا يُصدّقون بآياتنا تصديقاً جازماً.

٢٥ - إنَّ رَبَّكَ - أيها الرسول - يقضي بين المؤمنين والكافرين يوم القيمة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين.

٢٦ - يُوحِّي الله تعالى المشركين: أَوْلَمْ يَتَبَيَّنْ لَكُمْ كثُرَّةً مَّنْ دَمَرَنَا هُمْ مِنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ، يُسِيرُونَ فِي دِيَارِهِمْ فَيُرِونَ مَا حَلَّ بِهِمْ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ الدِّمارَ مَا تَبَقَّى مِنَ الْآثارِ لَدَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ قدرَتِهِ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ هَذَا الْحَقُّ؟ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّا بِقَدْرِنَا نَسُوْقُ الْمَاءَ

إلى الأرض القاحلة التي لا يصيّبها المطر، فُنخرج بذلك الماء مروجاً من النبات، تأكل منه دوابُّهم من الورق والعشب، وأنفسهم من الشمر والحب؟ ألا يبصرون ذلك الرزق من عند الله تعالى؟

٢٨ - ويسأل المشركون سخرية: متى هذا القضاء بعذابنا إن كنتم صادقين في تهديكم؟ فرَدَ الله تعالى عليهم: قل أيُّها الرسول: يوم نزول العذاب لا ينفع إيمان الكُفَّار، ولا هم يُمْهَلُون للتوبة، فأعِرِضْ عنهم، وانتظر ما يحلُّ بهم من العقاب، إنَّهم منتظرون كذلك ما يحلُّ بكم من الابتلاء.

الفوائد والاستنباطات:

١ - إثبات رسالة موسى ﷺ «وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ»، وتأكيد هذه الرسالة؛ لقوله: «وَلَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ»؛ لأنَّ الجملة مؤكَّدة بثلاثة مؤكَّدات: اللام، وقد، والقسم المقدَّر.

٢ - يجب الإيمان بأنَّ التوراة مُنزَّلة على موسى ﷺ ولكن اليهود حرَّفوها بعد ذلك.

٣ - لا تُنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين والدعوة إلى الله.

٤ - يقتدي الدُّعاة بالأنبياء وبائمة الْهُدَى من السَّابقين، فيُبَتُّون على الحق.

٥ - التزام شَرْع الله يجمع بين الناس على الحق، ومُخالَفَتُه تُؤَدِّي إلى الفُرقة والنِّزاع والخلاف.

٦ - قال الشيخ ابن عثيمين: «الاستدلال بالشيء المحسوس على الشيء المعقول؛ لقوله: «يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ»، أو بعبارة أخرى: الاستدلال بعين اليقين على صدق علم اليقين «كَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ» هذا علم اليقين، «يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ» هذا عين اليقين».

٧ - مشاهدة آثار المُعذَّبين السَّابقين تقود إلى العبرة والعظة عند المؤمنين.

٨ - من الأدلة على وحدانية الله والبعث بعد الموت خروج النبات بعد المطر.

- ٩** - الأصل فيما نَبَتَ من الأرض الحِلُّ، من قوله: ﴿أَنْعَمْهُمْ وَأَنْفَسْهُمْ﴾، فالالأصل فيما نبت من الأرض أَنَّه حلال، حتى يقوم دليل على التحرير.
- ١٠** - الحَثُّ على النظر والتَّبَصُّرُ، وهذه تؤخذ من قوله: ﴿أَفَلَا يُبَصِّرُونَ﴾.
- ١١** - الْكُفَّارُ يَتَهَكَّمُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، ويسألونهم أَسْئِلَةً يُسْتَبَدُونَ بِهَا حِقَائِقَ الْعِقِيدَةِ.
- ١٢** - المكابر يُعرَضُ عنه ويُترَك حتى ينزل به العذاب، فإذا رأيت مَنْ يكابر تأمره بالحق، ولكن مَنْ يكابر ويجادل، فاتركه.
- ١٣** - على المؤمن أن يُعرَضَ عن الْكُفَّارَ بعد دعوتهم، فلا يَنْشَغِلُ بهم، ولا يتَأثَّرُ لشَبهاتِهِمْ.
- ١٤** - على المؤمن الصبر والثبات على الحق، وانتظار الفرج من عند الله، فإنَّ دِينَ الله ظاهرٌ بإذن الله.

